

## [البحر الطويل]

مناسبة القصيدة:

رثاء العلامة المرحوم جبر ضومط (أستاذ الآداب العربية في جامعة  
بيروت الأميركية)

«أغمدان» (1) ما يُبكيك يا كعبة الهدى؟\*\*\*\*\* وفيم الأسي يا هيكل  
الفضل والتدى؟ (2)

عذرتك لو أصبحت وحدك مبتلى \*\*\*\*\* أغمدان صبراً لست بالخطب  
أوحدا

لئن مات يا غمدان «جبر» فشدما \*\*\*\*\* أعد رجلاً للحياة وجندا  
أتبكي على «جبر» وحوالك جنده؟\*\*\*\*\* عزائك فيمن راح حولك  
واغتدى

لبانيك روح ما يزال يمدهم \*\*\*\*\* وظلك ممدود على الدهر سزماً  
ويا من رأى أركانك الشم في الربا \*\*\*\*\* تبوان من جنات لبنان مقعدا  
حنوت على أم اللغات فصنتها \*\*\*\*\* وكنت لها الصرخ المنيع الممردا  
وكان لها «جبر» أميناً وحامياً \*\*\*\*\* إذا ما بغى الباغي عليها أو اعتدى  
وللعلم في لبنان يتيدت معاهد \*\*\*\*\* فلم تبق أيدي الجهل منهن  
معهدا (3)

وأقبح مما قد جنوه اعتداؤهم \*\*\*\*\* فقالوا: يضيع المال في رفعها سدى  
وقد زعموها ثنفاً المال كثرة \*\*\*\*\* فهل تركوا مالاً هناك فينفدا ؟!  
مصايخ إن هم أطفأوها فإنها \*\*\*\*\* حباحب شوم كم أضلت من اهتدى  
وما لهفي إلا على ساعة بها \*\*\*\*\* صدقنا العدا، لا بارك الله في العدا  
فكم من يد بيضاء للغرب عندهم \*\*\*\*\* «ومن لك بالخز الذي يحفظ  
اليدا» (4)

لئن خَلَفُوا لَبْنَانَ يَخْبِطُ فِي الدَّجَى \*\*\*\*\* فَعَمْدَانُ يَا لَبْنَانُ مَا أَنْفَكَ فَرَقْدَا  
طَرِيقُ الرَّدَى مَهْمَا يَطْلُ يَلْقَهُ الرَّدَى \*\*\*\*\* قَصِيرًا، وَإِنْ يَوْعُرُ يَجِدُهُ مُمَهَّدَا  
وَمَوْتُ الْفَتَى تَحْنِي الثَّمَانُونَ ظَهْرَهُ \*\*\*\*\* كَمَوْتُ الْفَتَى فِي مِيعَةِ الْعَمْرِ  
أَمْرَا

حَيَاثُكَ يَا إِنْسَانُ شَتَّى ضَرُوبُهَا \*\*\*\*\* تَحِيْطُ بِهَا شَتَّى ضَرُوبٍ مِنَ الرَّدَى  
وَمَا قَهَرَ الْمَوْتَ الْقَوِيَّ سِوَى أَمْرِي \*\*\*\*\* يُخَلِّفُ بَيْنَ النَّاسِ ذِكْرًا مُخَلَّدَا  
يُخَلِّفُ طَيْبَ الذِّكْرِ، لَا كَالَّذِي قَضَى \*\*\*\*\* وَخَلَّفَ وَعَدَا فِي فِلَسْطِينَ  
أُنْكَدَا (5)

فَأَبْكِي بِهِ قَوْمًا، وَأَضْحَكُ أُمَّةً \*\*\*\*\* أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَهَيِّمَ تَشْرُدَا  
وَلَكِنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ كَفَّ شَرَّهُ \*\*\*\*\* عَنِ النَّاسِ أَوْ أَغْنَى الْحَيَاةَ وَأَسْعَدَا  
«كَجَبْرِ» وَ«عَبْدَاللَّهِ» (6) طَابَ تَرَاهُمَا \*\*\*\*\* وَلَا زَالَ فَوَاحِ الشَّذَى رَيْقُ  
النَّدَى

عَلَى خَيْرِ مَا يَرْجُوهُ كَانَ كِلَاهُمَا \*\*\*\*\* جِهَادًا وَإِسْعَادًا وَغَيْبًا وَمَشْهَدَا  
وَهَامَا هَيَامًا فِي هَوَى «مُضَرِّيَّة» \*\*\*\*\* كَمَا انْقَطَعَا دَهْرًا لَهَا وَتَجَرَّدَا  
فَكَمْ نَشْرًا مِنْ ذَلِكَ الْحَسَنِ مَا انْطَوَى \*\*\*\*\* وَكَمْ آيَةً فِي ذَلِكَ السَّحْرِ  
جَدَّدَا

بَلَاغُهَا افْتَتَتْ «بَجَبْرِ» وَأَثَرَتْ \*\*\*\*\* فَصَاحَتْهَا «الْبَسْتَانُ» ظَلَامًا وَمُورِدَا  
إِذَا لَغَتْ عَزَّتْ - وَلَوْ ضَمِيمَ أَهْلُهَا \*\*\*\*\* فَقَدْ أَوْشَكَ اسْتِقْلَالَهُمْ أَنْ يُوْطَدَا  
«لَجَبْرِ» يَدٌ عِنْدِي تَأَلَّقُ كَالضَّحَى \*\*\*\*\* وَقَلَّ لَهَا شُكْرًا رَثَائِيكَ مُنْشِدَا  
غَشِيثُكَ فِي دَارِ بَيْرُوتَ لِلنَّدَى \*\*\*\*\* وَلِلْأَدَبِ الْعَالِي فِنَاءً وَمُنْتَدَى  
وَحَفَّ ذَوِيكَ الْبَشْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ \*\*\*\*\* وَبَيْنَ أَسَارِيرِ الْوَجْهِ تَرَدَّدَا  
وَأَنْسَتْ بِي مِنْ فَيْضِ نُورِكَ لِمَحَّةً \*\*\*\*\* فَأَعْلَيْتِ مِنْ شَأْنِي مُعِينًا وَمُرْشِدَا  
لَقَدْ كُنْتُ بِي بَرًّا فَيَا بَرِّ وَالِدٍ \*\*\*\*\* تَوْسَمَ خَيْرًا فِي ابْنِهِ فَتَعَهَّدَا  
وَيَا حَسْرَتَا أَضْحِي بِنُعْمَاكَ نَائِحًا \*\*\*\*\* وَكُنْتُ بِهَا مِنْ قَبْلِ حِينِ مُغْرَدَا

عجبت لها من همّة كان منتهى\*\*\*\*\*حياتك فيها حافلاً مثل مبتدا

فيا لغتي تيهي «بجبر» على اللغى\*\*\*\*\*ويا وطني ردد بأثاره الصدى

\*\*\*\*\*

التوضيح:

(1) غمدان اسم قصر الفقيد في جبل لبنان (أحمد طوقان).

(2) هيكل الفضل: الجامعة الأميركية.

(3) الإشارة إلى إغلاق المدارس في لبنان أيام الانتداب الفرنسي (أحمد طوقان).

(4) تضمين شطر بيت للمتنبى هو:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم

ومن لك بالخر الذي يحفظ اليدا

(5) الإشارة إلى اللورد بلفور، صاحب الوعد المشؤوم للصهاينة

بإعطائهم فلسطين وطناً قومياً لهم (أحمد طوقان).

(6) عبدالله البستاني صاحب قاموس (البستان) وقد توفي بعد الأستاذ

ضومط بأيام قليلة (أحمد طوقان).

- المصدر الأصلي : ط. دار الشرق الجديد (1930)

\*\*\*\*\*